الأضاحي البشرية في مصر في عصور ما قبل وبداية الأسرات
"بين النفي والإثبات"

د/ زينب عبد التواب رياض
مدرس آثار مصرية ـ كلية الآثار – جامعة أسوان

مقدمة :-

يرى بعض العلماء أن التضحية البشرية عرفت في العديد من الحضارات منذ أقدم العصور، وعندما نتناول هذا الموضوع لاسيما فى العصور البدائية فإننا حينئذ كالمغمض العينين الذى يحاول الوصول إلى طريق لا يعرف منتهاه .. وكى يتسنى لنا فهم الغاية من تلك العادة علينا أن نترك العنان للخيال يسبح بنا فى ماضى بعيد مظلم مليء بالوحشية نهاراً وبالخوف والفزع ليلا، وما بين هذا وذاك يحيا الإنسان الأول بقدراته البائسة ورغبته فى الحياة وخوفه من الغد .. بل من اللحظة القادمة !!

وهو فى سبيل ذلك كان على استعداد لتقدمة الغالى والنفيس كى يأمن عاقبة المخاطر التى تحيط به، فهو تارة يقدم قربان حيوانى وتاره يقدم قربان بشرى وينتظر النتيجة، يترقب البيئة ويحتاط لها بالمزيد من الأضاحى لنيل مرضاة الآلة !!

ولقد مارست أغلب شعوب الأرض فى العالم القديم عادة التضحية البشرية ، وكان ذلك انطلاقا من الفكر غير الواعى بحقيقة الإله الذى طالما سعوا إلى نيل مرضاته، ولاتزال هناك العديد من الشعوب تمارس تلك العادة حتى وقتنا الحالى .. ولابد أن تلك العادة كانت قد اتخذت أشكالًا مختلفة، وكانت لها بداياتها ودوافعها التى أدت بها إلى تواجدها وانتشارها فى شتى أرجاء العالم القديم.
[١]

ويعد هذا الموضوع فى مصر من الموضوعات الشائكة التى تؤخذ على حذر، فهناك من ينكرها وهناك من يعترف بها، **وإن كانت الغلبة لمن لا يعترف بوجودها فى مصر** لتعارضها مع فكر المصريين القدماء.

ويعرض هذا البحث مجموعه من الآراء التى ربما قد تبرهن – من وجهة نظر البعض– على وجود إشارات لممارسة التضحية البشرية في الحضارة المصرية القديمة فى عصر بداية الأسرات، وهل كانت تلك الممارسات تتم بغرض التضحية والتقرب بها للمعبود ، أم كانت تؤدى لأغراض أخرى ؟

وهل كانت تنفذ على فئة معينة دون سواها ... ولماذا ؟

آراء مغلوطة والرد عليها

يرى بعض الباحثين لاسيما من غير المصريين أن هناك أدلة على معرفة المصريين القدماء للتضحية البشرية فى عصر ما قبل وبداية الأسرات؛ ويرى هذا الفريق أن تلك الأدلة قد تنوعت ما بين العثور على دفنات لأضاحى بشرية[٢]، وبين مناظر نقوش ورسوم متنوعة أشارت إلى وجود ومعرفة عادة التضحية البشرية فى مصر آنذاك.[٣]

استعراض لأدلة وجود الأضاحى البشرية فى مصر من وجهة نظر مدعيها ؛ ومحاولة تفسيرها ونفيها.

اولاً: دفنات الأضاحى الآدمية فى عصر ما قبل وبداية الأسرات

– يقصد بالتضحية البشرية عملية قتل لشخص واحد أو أكثر كجزء من الطقوس الدينية أو الممارسات الجنائزية، وقد عرفت التضحية البشرية فى مختلف الثقافات عبر التاريخ القديم، ومازالت موجودة حتى عصرنا الحديث فى العديد من القبائل البدائية، بفرضية أن التضحية هى استرضاء للآلهة والأرواح وجلب للمنفعة .

– يرى بعض الباحثين أنه قد ظهرت أولى أدلة معرفة التضحية البشرية فى مصر منذ نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية عصر الأسرات[٤]، وخاصة فى فترة نقادة الثانية ٣٥٠٠ – ٣٢٠٠ ق.م[٥]، إذ عثر فى بعض جبانات تلك الفترة على ما يشير إلى عادة تقطيع أوصال جسد المتوفى، وذلك على غرار ما جاء فى العضايمة وهيراكونبوليس ونقادة؛ ففى جبانة هيراكونبوليس عثر على العديد من الدفنات الآدمية التى كانت الجماجم فيها فصلت قصدا عن الأجسام ، وظهرت علامات القطع على فقرات الرقبة (شكل:١) فى حوالى واحد وعشرون فردا لرجال ونساء[٦]، وأرجع أولئك الباحثين ذلك إلى تعرضهم للذبح وفصل

الرأس [٧]، وقد عثر من بين تلك الجماجم على جمجمة كانت قد تعرضت لعملية إزالة لفروة الرأس (شكل : ٢) فى المقبرة رقم HK43 ؛ مما دعى بعض الباحثين إلى إرجاع ذلك لنوع من التعذيب أو العقاب* لاسيما وأنه قد عثر على آثار وجود تعذيب على العديد من البقايا العظمية الآدمية فى تلك المقبرة ، وفى مقبرة أخرى بالجبانة عثر على بعض العظام الطويلة التى كانت قد فصلت قصدا عن الجثة ووضعت بعناية على طول جدران المقبرة [٨] كما عثر فى مقبرة أخرى على سكين من الصوان وبقايا عظام آدمية كانت منفصلة ومكدسة فى شكل كومة ، ولم يعثر على الجمجمة ولكن عثر على إناء فخارى (شكل :٣) وضع بديلا عنها ، وأسفل منه كان السكين وبقايا شعر الرأس [٩].

وفى نقادة تكرر الأمر نفسه إذ عثر على بقايا عظام آدمية متناثرة بين المقابر أو مفككه عن قصد ولقد لوحظ فى مقابر نقادة أمران :

الأول : أن بعضها تضمن أكثر من جثة واحدة ، بحيث وجدت فى إحداها خمس جثث .

والثانى : أن بعض موتاها تعرضت عظامهم لعمليات تفكيك مقصودة أو غير مقصودة ووضعت فى غير نظام .

ولقد فسر عبد العزيز صالح تفكيك العظام إلى ثلاثة عوامل – فى حالة إذا كان تفكيكًا غير مقصودٍ – وهى:

- استخدام المقبرة لأكثر من مرة واحدة واضطرار أصحابها إلى تكويم عظام المتوفى القديم حيثما اتفق بحيث تشغل أقل حيز ممكن
- أو نهب المقبرة وبعثرة عظام صاحبها خلال البحث عن حليه التى لبسها، أو وضعها أهله معه فى الحصير الذى غطوه به.
- أو اعتداء وحوش الصحراء على الجثة حين تجتذبها رائحتها عقب دفنها [١٠].

ولكن لو صح ما ذهب إليه عبد العزيز صالح من تفسيرات لكان هناك شيء آخر لابد من تفسيره .. ماذا عن آثار القطع والحزوز التى وجدت على فقرات الرقبة بالعديد من دفنات هيراكونبوليس ؟ هل كانت لأفراد من الأسرى والمدانين كان يتم قتلهم بهذه الطريق

– كالإعدام فى العصر الحالى – أم هى أمور جنائزية وطقوس ذات صلة بممارسات التقدمة البشرية؟

– يرى بعض الباحثين أنه ربما كانت تلك الدفنات بالفعل لممارسات ترتبط بالتضحية البشرية ؛ لاسيما وأنه قد تكررت مثل هذه الدفنات، ولأنه فى البعض منها كان هناك دلائل غريبة مثل العثور على السكين الصوانى الذى كان مرافقاً للدفنة آنفة الذكر.

ولكن هناك أمورًا تدحض هذا الرأى منها:-

- أنه فى بعض دفنات جبانة هيراكونبوليس عثر على بقايا لقى أثرية ومتاع جنائزى يصعب وضعه مع دفنة مُدان أو مجرم معاقب.
- أنه قد عثر على مثل هذه الدفنات التى فسرت بأنه لأضاحى آدمية فى سياج جبانات تم العناية بها ... فهل يعقل أن يقتل المُدان ثم يكرم بدفنه ويصحب معه متاعه الجنائزى ؟

ولقد استمر العثور على دفنات آدمية فسرها بعض الباحثين بأنها لأضاحى بشرية وذلك فى الجبانة الملكية بأبيدوس، والتى تؤرخ بعصر ما قبل وبداية الأسرات[١١]

ولقد كانت الجبانة الملكية بأبيدوس واحدة من أكثر الجبانات التى عثر فيها على العديد من الدفنات الفرعية الملحقة بمقابر ملوك عصر بداية الأسرات [١٢]، وعثر فيها كذلك على أدلة وجود دفنات الأضاحى البشرية – لو صح التعبير– فى العديد من تلك الدفنات الفرعية ، تنوعت تلك الدفنات ما بين دفنات لأضاحى آدمية ودفنات لأضاحى حيوانية . [١٣]

وكان من أهم الدفنات الفرعية الآدمية تلك التى عثر عليها ملحقة بمقبرة الملك "حور عحا" بالجبانة الملكية بأبيدوس[١٤]، بعضها كان قريب الشبه من دفنات نقادة وهيراكونبوليس حيث العظام المفككة، والبعض الأخر كان مكتمل الجسد ومزود بالمتاع الجنائزى على غرار عادات الدفن المتبعة فى مصر القديمة، ففى (شكل: ٤) نرى دفنة آدمية فرعية كانت ملحقة بمقبرة الملك حور عحا بأبيدوس، كان المتوفى قد دفن فى وضع القرفصاء وزود ببعض الأوانى الفخارية كنوع من المتاع الجنائزى للانتفاع بها فى عالمه الأخر .[١٥]

ومن الملفت للنظر أنه قد تم العثور على بقايا العديد من العظام الآدمية المتناثرة فى بعض المقابر الفرعية الملحقة بمقبرة الملك حورعحا بالجبانة الملكية بأبيدوس، وكذلك عثر من بين ما تم اكتشافة بالجبانة على مقبرة بها مجموعة من العظام الأدمية تم تجميعها داخل تابوت خشبى، وبالقرب منها هيكل عظمى جيد الحفظ لامرأة ، ومن خلال الفحص والدراسة تم تحديد العمر الزمنى لأصحابها ؛ وتبين أنها عظام لأفراد تتراوح أعمارهم ما بين ٢٠ – ٢٥ عام، ولقد أفاد بعض الباحثين أن هؤلاء الأفراد كانوا من خادمي القصر الملكي* تم دفنهم مع الملك ليداوموا على خدمتهم له في العالم الآخر[١٦] أو رغبة من هؤلاء الأشخاص في أن يدفنوا بعد وفاتهم مع ملكهم والذي هو صورة الإله، ويعتقد بعض الباحثين أن الأشخاص الذين رافقوا الملك إلى قبره لم يقتلوا بل قاموا بالانتحار طوعا عن طريق تناول السم، مما جعل العديد من علماء الآثار غير المصريين يؤكدوا ممارسة المصرى القديم لعادة التضحية البشرية منذ عصور ما قبل وبداية الأسرات [١٧]

ولقد تكرر العثور على ما يقترب من ٣١٧ دفنة من الدفنات الفرعية الآدمية[١٨] أيضا بالقرب من مقبرة الملك "جر"، وعلى ما يزيد عن ٢٤٢ دفنه عثر عليها حول سياج مقبرته ليبلغ إجمالى ما عثر عليه حوالى ٥٥٩ دفنة أدمية فرعية لنساء ورجال [١٩] تم دفنهم حول وبالقرب من مقبرة الملك "جر" بالجبانة الملكية بأبيدوس[٢٠] (شكل:٥) مما جعل كثير من الباحثين يميلون إلى اعتبار أن تلك الدفنات كانت لخدم *تمت التضحية بهم ودفنهم أحياء مع أدواتهم ومتاعهم كى يكونوا برفقة الملك لخدمته فى العالم الآخر وأن هذا التقليد لم يستمر، وإنما استعيض عنه فى نهاية المطاف بوضع هيئات آدمية رمزية برفقة المتوفى داخل المقبرة .[٢١]

ولقد عثر على ما يقرب من ١٣٦ دفنة فرعية لرجال ونساء ؛ كانت تحيط بمقبرة الملك دن بالجبانة الملكية بأبيدوس (شكل: ٦) ، ونظرا لكثرة عددها وتزامنها معا اعتبرها بعض الباحثين بمثابة أضاحى بشرية .[٢٢]

ولكن .. لما لا تكون مثل هذه الدفنات للعمال القائمين بالعمل فى تشييد الجبانة الملكية بملحقاتها ، ولما لا يكون قد أصابهم نوع ما من وباء أو مرض أدى لموتهم وبالتالى

دفنهم فى تلك الدفنات الفرعية الملحقة بالجبانة الملكية ؛ فما من نص مكتوب يثبت أو ينفى بيقين وجود عادة التضحية البشرية فى مصر .. ومن ثم فهناك إشارات يؤكدها غير المصريين من خلال مثل تلك الدفنات الآدمية ولكن ربما أثبتت حفائر الغد عكس ذلك .

وإذا كان بعض الباحثين نظروا إلى مثل هذه الدفنات باعتبارها أضاحى بشرية ترافق الملك فى العالم الآخر "لأغراض جنائزية"، فإن البعض الأخر يرى أن المصريين القدماء عرفوا ظاهرة التضحية البشرية من أجل "أغراض طقسية أو دينية"، وقد فسر هذا الفريق وجود الجبانات الموجودة حول الأهرامات فى الجيزة وسقارة وأبو صير وغيرها – والتى كانت تضم أجساد العديد من المقربين للملك – بأنهم جميعاً تم قتلهم عنوة حتى يرافقونه ويعيشون معه الحياة الأخرى تماماً كما كانوا يشاركونه الحياة الدنيا ، ولكن هذا رأى يجانبه الصواب، لأن المقابر التى عثر عليها حول تلك الأهرامات ما هى إلا مقابر العمال الذين كانوا يقومون بالعمل فى بناء الأهرامات [٢٣].

وعلى صعيد آخر فقد عرفت عادة التضحية الحيوانية؛ وثبت ذلك بالفعل من خلال كثرة ما عثر عليه من دفنات حيوانية ترجع لعصور ما قبل التاريخ وما قبل وبداية الأسرات ، إذ كان يتم التضحية بأنواع عده من الحيوانات، وظهر ذلك بكثرة فى العديد من جبانات عصر ما قبل وبداية الأسرات، وكان من أهم ما تم العثور عليه بالقرب من موقع الجبانة الملكية بأبيدوس[٢٤] ؛ دفنة حيوانية لحمار عثر عليه بالقرب من الجدار الشمالى الشرقى لما تم اكتشافة مسبقا لدفنات حمير كانت ملحقة بمقبرة أحد ملوك الأسرة صفر [25].

مناظر الأضاحى البشرية فى عصر بداية الأسرات

يشير البعض إلى وجود العديد من دلائل ممارسة المصرى القديم لعادة التضحية البشرية منذ عصر ما قبل وبداية الأسرات، وكان من أدلتهم على ذلك ما جاء ضمن رسوم مقبرة الزعيم أو المقبرة رقم ١٠٠ بهيراكونبوليس، والتى صورت مناظر لأسرى مقيدى الأيدى، وأمامهم شخص واقفًا ممسكًا بعصا، ربما كان زعيم القبيلة يهم بضرب الأسرى الجاثيين على الأرض[٢٦].(شكل:٧)

ولكن هذه وجهة نظر ربما كان مبالغ فيها، فالمنظر لا يثبت التضحية بهم فهو منظر ربما يشير إلى نوع من التأديب للأعداء أو الخارجين، ولذلك فهو دليل ضعيف لا يؤكد وجهة نظرهم.

وكان من الأدلة التى اتخذها البعض لإثبات ممارسة المصريين القدماء فى عصر بداية الأسرات لتقدمة الأضاحى البشرية ما جاء فى نقوش بعض البطاقات العاجية التى عثر عليها فى الجبانة الملكية بأبيدوس، وكان منها تلك البطاقة (شكل : ٨) والتى ترجع لعصر الملك حور عحا، ويتبين فى نقوش تلك البطاقة العاجية منظر ينطوى على طقسة تتعلق بذبح إنسان، إذ نرى رجلاً مقيد اليدين جاثيًا على ركبتيه، وأمامه رجل آخر يوجه سكينة نحو رقبة الشخص المقيد، وبينهما وبالقرب من الرجل الجاثى يوجد إناء ربما كان الغرض منه استقبال وتجميع الدم الذى يترف من الضحية حتى الموت.[٢٧] وخلف هذا المنظر نرى رجلاً واقفاً ممسكا بعصا ربما كان شخص ذا سلطة أو مكانه اجتماعية معينة، وكان يشرف على تلك المراسم، وعلى عملية نقل الدم، واستخدامه فى بعض الطقوس العقائدية المرتبطة بالعالم الآخر، والتى جعلها البعض الأساس المبكر للعقيدة الأوزيرية التى عرفت فيما بعد .

وقد حاول بعض العلماء أن يرى فى نقوش بعض البطاقات العاجية التى عثر عليها بالجبانة الملكية بسقارة ؛ تمثيل لبعض طقوس الأضاحى الآدمية والتى كان منها البطاقة (شكل : ٩) والتى ترجع لعصر الملك "جر"، إذ يظهر بالسجل الأول من نقوش البطاقة منظر ينطوى على طقسة تتعلق بذبح إنسان ، إذ نرى رجلاً مقيد اليدين جاثى على ركبتيه، وأمامه رجل آخر يوجه سكينة نحو رقبة الشخص المقيد ، وبينهما وبالقرب من الرجل الجاثى يوجد إناء ربما كان الغرض منه استقبال وتجميع الدم الذى يترف من الضحية حتى الموت .[٢٨] وخلف هذا المنظر نرى عملية نقل لهيئة آدمية أقرب للتمثال [٢٩]، ولذلك رجح البعض أن تلك الهيئة كانت هى الأضحية البشرية بعد انتهاء مراسم الذبح تنقل تمهيدا للدفن . ونرى اسم الملك "جر" داخل علامة السرخ إشارة إلى أن كل تلك الممارسات تتم تحت سلطة الملك .

ولقد فسر بعض الباحثين تلك المشاهد بأنها تعبر عن تقدمة الأضاحى الآدمية ، بينما فسر البعض الأخر تلك المناظر بأنها نقوش بها نوع من المبالغة للتعبير عن النصر على

الأعداء، وذلك من خلال تصوير الأسرى بهذه الحال...وأميل إلى ترجيح هذا الرأى ، لاسيما وأن المبالغة كانت أحياناً سمة من سمات الفن المصرى القديم ، ولازلنا حتى اليوم عندما نريد المبالغة فى التعبير عن الانتقام باللفظ من أحد الخصوم أو الأعداء نقول بالمعنى الدارج "سأشرب من دمه" وهذا أمر لا يحدث فى واقع الأمر وإنما يقصد به المبالغة فى التعبير .. فليس كل ما صوره المصرى القديم كان بالضرورة أمر حدث أو سيحدث ، ربما كان نوع من المبالغة فى التعبير بالرسم لإخافة الخارجين والأعداء ولإثبات قوة الملك الذى فى عهده تمت مثل تلك الأعمال الفنية.

وكان Morris من المؤيدين لفكرة التضحية البشرية فى مصر فى تللك الفترة ، وافترض فى نقوش منظر بطاقة الملك "جر" أن طريقة القتل الأدمية كانت عن طريق الطعن وليس الذبح ، واستند فى ذلك أيضاً على اثنين من البطاقات العاجية؛ عثر عليهما فى سقارة بمصطبة "حماكا" أحد كبار موظفى الملك "دن"، كانت نقوش تلك البطاقات قد أظهرت مناظر مشابهة لما جاء على بطاقة الملك حور عحا، إلا أن الشخص القائم بالقتل كان قد صوب سلاحه نحو صدر الضحية، وأسفل الجرح تم وضع إناء لتجميع الدم النازف من الجرح .[٣٠]

ومن خلال تلك النقوش حاول المؤيدون لوجود التضحية البشرية فى مصر التمييز بين شكلين رئيسيين من الأضاحى البشرية هما :-

- الشكل الأول : طقوس القتل الآدمى والتى ترتبط بأحداث معينة لاسيما المناسبات المرتبطة بالتتويج، وتأكيد انتصار الملك، والأعياد، أو الاحتفالات الملكية، وكان المساجين من المذنبين والمجرمين وأسرى الحرب هم الفئة التى تقدم فى تلك الحالة.

- الشكل الثانى : شكل من أشكال التقدمات والقرابين الآدمية، والتى كان الغرض منها إرساء دعائم الاستقرار ونيل مرضاة الإله .

ورجحوا من خلال ما جاء فى المقابر المكتشفة أن هناك نمط ثالث من تلك الأضاحى الآدمية تمثل فى رغبة الملك فى اصطحاب الخدم والأتباع معه فى العالم الآخر ، وذلك من خلال طقوس دفن جماعية تؤدى بعد وفاة الملك[٣١].

ولكن هذ أمر ينقصه اليقين إذ لازلنا حتى تلك الفترة موضوع البحث فى مرحلة ثقافية غير كتابية، نعتمد فى دراستها على الاستقراء والاستنباط الذى قد ينفى أمر أو يرجحه ولكن بغير يقين.

ولقد عبرت نقوش صلاية الملك نعرمر عن العديد من المراسم والطقوس الاحتفالية والملكية ، والتى كان من بينها قتل أسرى الحرب والمجرمين من الخارجين على الملك[٣٢] ، ولقد ربط بعض الباحثين بين تلك المناظر وبين التقدمات أو الآضاحى البشرية فى عصر ما قبل وبداية الأسرات، ولعل هذه الصلاية بنقوشها تذكرنا برسوم المقبرة رقم ١٠٠ بهيراكونبوليس، ولقد عثر على تلك الصلاية أيضا بهيراكونبوليس بين أطلال معبد المدينة، ولو نربط الأحداث لأمكننا القول أن هيراكونبوليس كانت مركزا دينيا وجنائزيا، وكان لها أهميتها فى عصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات، وربما كانت تقام بين جنباتها بعض المراسم والطقوس الجنائزية والدينية.[٣٣]

ونرى فى نقوش أحد وجهى الصلاية الملك نعرمر واقفا بالهيئة الملكية، مصورا بحجم كبير وممسكا بمقمعة القتال[٣٤] ، وأمامه حملة الألوية والأعلام ، ثم الأسرى وقد صوروا فى صفين، وجاءت رؤوسهم مقطوعة وموضوعة بين أقدامهم بينما قيدت أيديهم خلف ظهورهم [٣٥]. (شكل: ١٠-١١) ولقد فسر O'Connor تلك التفاصيل بوجهة نظر لا تخلو من فلسفة دينية، إذ ربط بين الدم وبين اللون الأحمر لتاج الوجه البحرى والذى يرتديه الملك نعرمر فى ذلك المشهد المصور على الصلاية (شكل:١٠) فقد رأى أن التاج الأحمر هو الرمز المبكر للدماء والذبح والتدمير، وأن السماء كان يراها المصرى القديم حمراء عند شروقها بالفجر ، ومن ثم كان اعتقاد المصريين القدماء — من وجهة نظر O'Connor – بأن لون السماء الأحمر فى ذلك التوقيت إنما هو تعبير عن نهاية معركة دامية كانت بين رع وأعدائه؛ وأن التاج الأحمر لمصر السفلى بناء على ذلك ارتبط بشروق الشمس، وأن ارتداء الملك نعرمر له

فى هذا المنظر يجعله مقترنا " أو يجعل منه " المعبود رع مقاتلا أعداءه بالليل، وذهب O'Connor إلى أبعد من ذلك، إذ فسر علامة القارب المصاحبة للمنظر بأنها قارب الصباح للإله رع فى رحلته التى قام بها، وأن هذه القارب إنما تشير أيضا إلى شروق الشمس [٣٦]. فالملك إذن هو رمز الإله أو هو الإله القائم بتنفيذ الحكم على الأرض [٣٧] وكان هذا الاعتقاد هو السائد ليس فى تلك الفترة فقط وإنما امتد حتى العصر اليونانى الرومانى، إذ كان الملك هو الإله أو صورة الإله على الأرض، وهو المنوط به تنفيذ مختلف الأحكام على المذنبين [٣٨].

أى أن O'Connor حاول تفسير نقوش الصلاية بنظرة فلسفية لاتخلو من المبالغة ، وحملها أكثر مما تحتمل ، وجعل البعض من هذا التفسير ذريعة لتأكيد أمور قد تخلو من الصحة .

الخاتمة :

– إن فكرة ممارسة المصريين القدماء لعادة التضحية البشرية من الأفكار التى تؤدى إلى مزيد من الخلافات العلمية ، ولأن الهدف من هذه الدراسة هو نفى أو إثبات وجود التضحية البشرية فى مصر فى عصر ما قبل وبداية الأسرات ؛ فإنه لابد ألا نأخذ الأمور على علاتها، فهناك أدلة تجعلنا نميل إلى الاعتراف بوجود تلك العادة فى مصر، وهناك أدلة أخرى شائكة لا تؤكد وجود تلك العادة فى مصر لاسيما وأن أغلب ما عثر عليه من دفنات آدمية فرعية ملحقة بمقابر ملوك عصر بداية الأسرات كانت مزودة ببعض المتاع الجنائزى، وكانت قد دفنت بنفس تقاليد الدفن المتبعة فى مصر القديمة، أى لا ينطبق عليها سمات التضحية البشرية ، فكيف يضحى بإنسان ثم يزود بالمتاع الجنزى؟

– وجدلا لو افترضنا أنها دفنات لأضاحي بشرية ، فلابد أنها كانت قد تمت بمرضاة صاحب الدفنة، ليصحب الملك فى العالم الأخر وربما كان هذا التبرير يوضح سبب وجود المتاع الجنائزى المصاحب للمتوفى، وعدم وجود أى من أثار الدفاع عن النفس من قبل المتوفى فى تلك الدفنات .

– ربما كان فى العثور على العظام الآدمية التى فصلت ودفنت قصداً فى بعض المقابر الآدمية ما يؤكد وجود ممارسات ارتبطت بتقطيع أوصال المتوفى بعد موته، ولكنها ظاهرة لم تستمر، وربما كان لها أغراض أخرى وليست أضحية.

– وعن الرسوم والمشاهد التى رأى بعض العلماء أنها أشارت إلى وجود تلك العادة فى مصر فى عصر ما قبل وبداية الأسرات، فانطلاقا من التفسير السابق يمكن اعتبار أن هذه المشاهد إنما تصور أحداث ذات دلالة دينية عقائدية، و ممارسات ترتبط بطقوس جنائزية وفى الوقت نفسه ترتبط بأمور سياسية.. فهى تركيب معقد يتسع لمزيد من التفسيرات .

– والأمر الثانى لابد أن نسأل أنفسنا هل كل ما صوره المصرى القديم كان لابد لأمور واقعية، أم ربما كان يعبر بفنه عن أحداث بها كثير من المبالغة ربما رغبة فى التخويف، وربما بهدف إرساء قواعد الحكم وإرهاب الخارجين عن الملك، أياً ما كانت الأسباب فإننا بصدد فترة غابت فيها الكتابة، ونعتمد فيها على استقراء الأحداث، وعلى دراسة ما بين أيدينا من أدلة ملموسة لدفنات آدمية غلفتها الغرابة وأحاط بها الغموض.

قائمة الأشكال

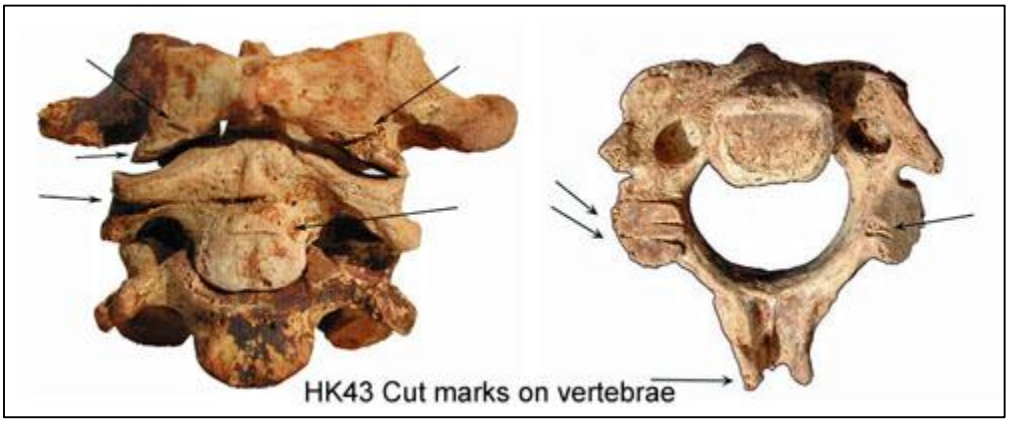

(شكل :١)– علامات قطع على فقرات الرقبة – المقبرة رقم ٤٣ بجبانة هيراكونبوليس [٣٩]

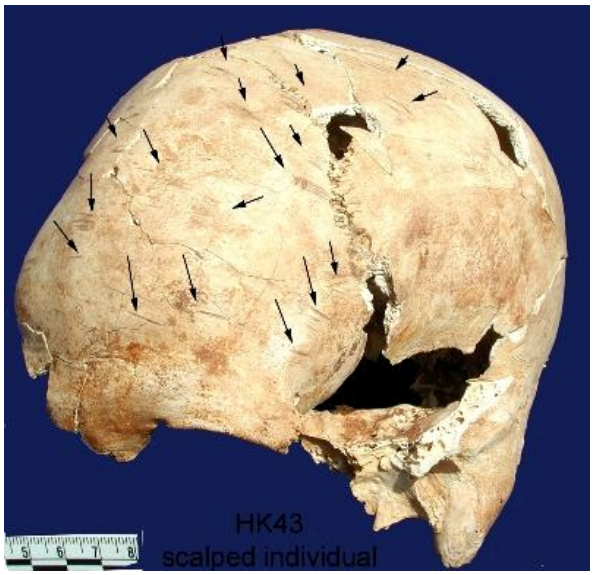

جمجمة آدمية تعرضت لإزالة فروة الرأس – الجبانة رقم ٤٣ – جبانة هيراكونبوليس [٤٠]

(شكل:٣)- دفنة بها بقايا عظام آدمية وسكين من الصوان وإناء فخارى – هيراكونبوليس[٤١]

(شكل : ٤)- دفنة آدمية من الدفنات الفرعية عثر عليها قرب مقبرة الملك حور عحا بأبيدوس .[٤٢]

(شكل:٥)- مقبرة الملك "جر" من ملوك الأسرة الأولى – جبانة أبيدوس[43]

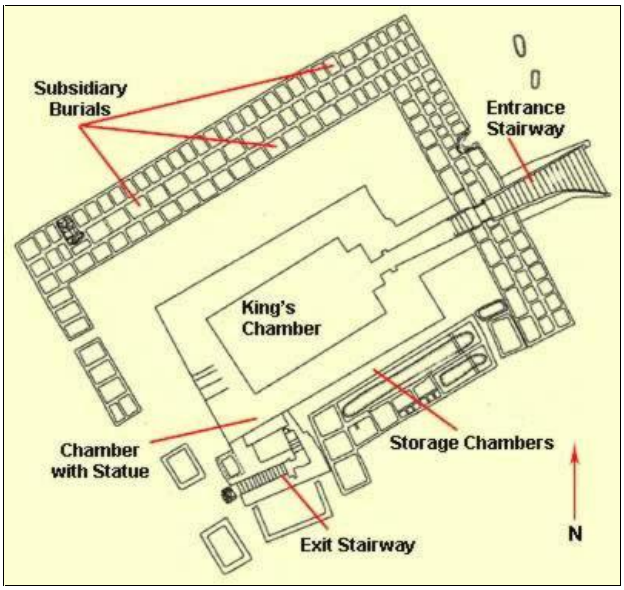

(شكل:٦)- رسم تخطيطى لمقبرة الملك دن والدفنات الفرعية المحيطة بها [٤٤]

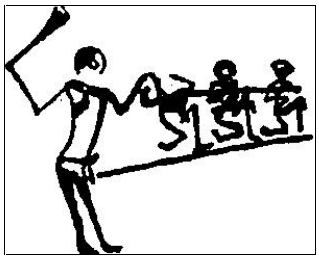

(شكل:٧)- جزء من رسوم المقبرة رقم ١٠٠ بهيراكونبوليس

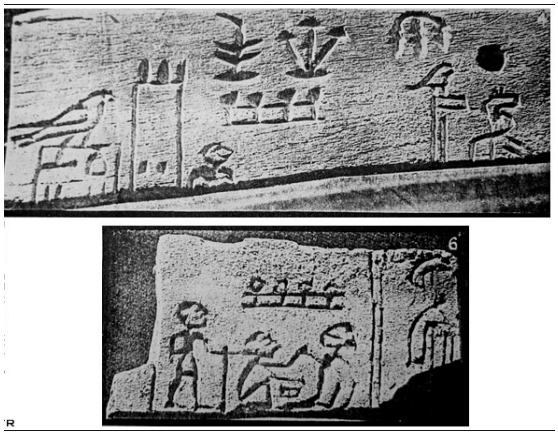

(شكل:٨)- البطاقة العاجية للملك حور عحا ويتبين عليها ممارسة التضحية البشرية . [٤٥]

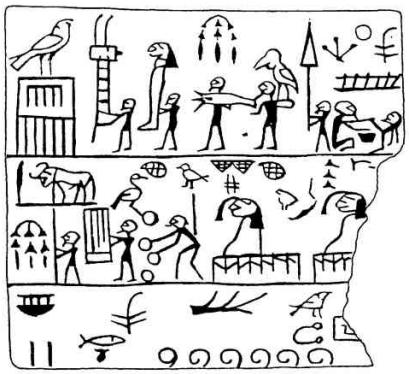

(شكل:٩) - بطاقة عاجية من عهد الملك "جر" – الجبانة الملكية بسقارة [٤٦]

(شكل : ١٠)- تفاصيل من الجزء العلوى لصلاية الملك نعرمر[٤٧].

(شكل:١١)- الأسرى من المساجين وقد قيدت أيديهم ووضعت رؤوسهم بين أقدامهم[٤٨].

الهوامش

[11] -Leeson,P.T., Human Sacrifice, in: Review of Behavioral Economics, London, 2014, 1,pp.137–165; Bremmer, J.N., (ed.), the Strange World of Human Sacrifice. – Studies in the History and Anthropology of Religion, Vol. 1, Leuven, 2007, pp.135–155.

[2] - Van Djik, J., Retainer Sacrifice in Egypt and in Nubia", the Strange World of Human Sacrifice, Studies in the History and Anthropology of Religion, Vol. 1, 2007, pp. 135–155.

[3] - Menu, B., 'Mise à mort cérémonielle et prélèvements royaux sous la Ire dynastie (Narmer–Den)', Archéo-Nil, 11, (2001), pp. 165–77.

[4] - Bard, K, A., "The Emergence of the Egyptian State." In *The Oxford History of Ancient Egypt*, edited by Ian Shaw, Oxford and New York, 2000, pp. 57-82.

[5] - Van Djik, J., Op.Cit., p.137.

[6] - Jones, J., New perspectives on the development of mummification and funerary practices during the Pre- and Early Dynastic periods [in:] Goyon, J.-C. & Cardin, C.(eds.), Proceedings of the ninth international congress of Egyptologists. Grenoble 6–12 septembre 2004, Orientalia Lovaniensia Analecta 150, Leuven .2007, pp. 979–990.

[7] - Dougherty, S.P., A Little More Off the Top, in: Nekhen News, Vol. 16, 2004, pp.11-12.

* يستند الباحثين فى ذلك الرأى إلى العادات السائدة فى الثقافة اليهودية والممارسات التى عرفت لدى الأصليين أو الأوائل من سكان الأمريكتين من الهنود الحمر ، إذ كان إزالة فروة الرأس أحد وسائل التعذيب المستخدمة لديهم .

[8] - Friedman, R.F., the Predynastic cemetery at HK43 [in:] Friedman, R.F.; Maish, A.; Fahmy, A.G.; Darnell, J.C. & Johnson, E.D, Preliminary report on fieldwork at Hierakonpolis: 1996-1998. Journal of the American Research Center in Egypt 36, 1999, pp. 3-11.

[9] - Friedman, R., "He's got a Knife! Burial 412 at HK43" , in: Nekhen news, Vol. 16, 2004,pp.8-10

[10] – عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ، ج ١ ، القاهرة ٢٠٠٦ ، ص ١٧٩ – ١٨٠ .

[11] - Dreyer, G., 'Zur Rekonstruktion der Oberbauten der Königsgräber der 1. Dynastie in Abydos', MDAIK 47, 1991 ,pp.93–104

[12] - Barry J.K., "Abydos and the Royal Tombs of the First Dynasty", in: Journal of Egyptian Archaeology, 1966, 52,pp.13-22

[13] - Morris, Ellen F. "Sacrifice for the State: First Dynasty Royal Funerals and the Rites at Macramallah's Rectangle." Performing Death: Social Analyses of Funerary Traditions in the Ancient Near East and Mediterranean. Edited by Nicola Laneri. Accessed; 4/16/15.https://oi.uchicago.edu/sites/oi.uchicago.edu/files/uploads/shared/docs/ois3.pdf

[14] - Lemara,D., Re-Examining a First Dynasty Egyptian Cemetery. A thesis submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts , Alberta, 2012 , pp.135 – 139

[15] - Bestock, Laurel. "The First Kings of Egypt: The Abydos Evidence." *Before the Pyramids: The Origins of Civilization.* Edited by Emily Teeter, Accessed :4/16/15. https://oi.uchicago.edu/sites/oi.un chicago.edu/files/uploads/shared/docs/oimp33.pdf

* كانت دفنات الخدم هنا أشبه بتماثيل الأوشابتى التى عرفت فى العصور التاريخية فى مصر القديمة ، والتى لم تكن معروفة فى تلك الفترة وبدء ظهورها بالأسرة الخامسة أو السادسة .

[16]-Watrin, L., Human sacrifices in early dynastic Egypt: an archeological mirage? In: http://www.grepal.org ,2008

[17] - Adams, D.M., & O'Connor, D., Monuments of Egypt at its origins, Predynastic and early dynastic Egypt: recent discoveries ,in: The third international colloquium on Predynastic and early dynastic Egypt, at the British Museum from 27 July to 1 August 2008

[18] - Van Djik, J., Op.Cit., p.139.

[19] - Ibid., p.139.

[20] - Semple,D.L., Macramallah's Rectangle: Re-Examining a First Dynasty Egyptian Cemetery A thesis submitted to the Faculty of Graduate Studies and Research in partial fulfillment of the requirements for the degree of Master of Arts, University of Alberta, 2012,p.135.

* كان هذا الفكر القديم قد عرف وظهر بوضوح فى بلاد الرافدين ، منذ عصور بداية الأسرات هناك ، ولكن مصر كان لها طبيعة مختلفة و لم تكن طبيعة المصريين لتسمح بمثل تلك الأمور ، ولكنها افتراضات أكدها البعض، ونفاها البعض الأخر .. أستعرضها ربما من خلالها يمكن الوصول لحقيقة الأمر .

[21] - See: Morris, E.F., a Sacrifice for the State: First Dynasty Royal Funerals and the Rites at Macramallah's Rectangle. In Performing Death: Social Analyses of Funerary Traditions in the Ancient Near East and Mediterranean, Chicago, 2007, pp.15-37.

[22] - Van Dicjk,J., Op.Cit.,p.141

[23]- عبد الحميد عزب ، التضحية البشرية فى مصر القديمة ، مصر بيتنا، ٢٠١٤

[24] -- See W.B. Emery, Great Tombs of the First Dynasty II (London, 1954); Wilkinson, Early Dynastic Egypt, pp.259–60.

- عن الدفنات الحيوانية فى عصور ما قبل التارخ وعصر ما قبل وبداية الأسرات انظر :-

[25]- زينب عبد التواب رياض ، الدفنات الحيوانية فى مصر والعراق وبلاد الشام فى عصور ما قبل التاريخ وبداية الأسرات ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦ .

[26] - Seawright,C., Tomb 100, Tomb U-J and Maadi South: Themes from Predynastic Egypt, Oxford,2013, fig.4.

[27] -Tatlock, J., How in ancient times they sacrificed people, human Immolation in the eastern Mediterranean Basin with Special Emphasis on ancient Israel and the near east, Michigan, 2006, p.135.

[28] -Ibid., p.135.

[29] - Ibid., fig.3.32

[30] - Morris, E.F., First Dynasty Royal Funerals and the Rites at Macramallah's Rectangle." In: Performing Death: Social Analyses of funerary Traditions in the Ancient Near East and Mediterranean, edited by Nicola Laneri, 2007, pp.15-38.

[31] - Van Dicjk,J., Op.Cit.,p.141 – 142.

[32] - Barry J.K, Ancient Egypt: Anatomy of a Civilization, New York, 2006, p.84, fig.27.

[33] - Tomb 100, Tomb U-J and Maadi South: Themes of Kingship, Religion, and Order versus Chaos during Egypt's Predynastic Period ARC3RFC © Caroline Seawright 2013 http://www.thekeep.org/~kunoichi/kunoichi/themestream/ARC3RFC.html

[34] - Morris,D.F., (un) dying loyalty : meditations on retainer sacrifice in ancient Egypt and else where ,in: Campbell,R.,violence and civilization ,Oxford, ,2014,pp.63-64.

[35] - See: Köhler, E.C., History or Ideology? New Reflections on the Narmer Palette and the Nature of "Foreign" Relations in Predynastic Egypt, in E. C. M. van den Brink and T. E. Levy (eds), Egyptian-Canaanite Relations During the 4th Through Early 3rd Millennia

[36]- O'CONNOR, D.,« The Narmer Palette : a new interpretation », in E. TEETER (ed.), Before the pyramids : the origins of Egyptian civilization, Chicago 2011, pp. 149-152.

[37] - NAKANO,T., « An undiscovered representation of Egyptian kingship ? The diamond motif on the kings' belts », Orient 35 (2000), pp. 23-34.

[38] - BAINES, J., « Presenting and discussing deities in New Kingdom and Third Intermediate period Egypt », in B. PONGRATZ-LEISTEN (ed.),Reconsidering the Concept of Revolutionary Monotheism, Winona Lake IN 2011, pp. 46-42.

[39] - Jones J., Funerary Textiles of the Rich and the Poor, Vol. 14 ,2002 ,p.14

[40] - Dougherty, S.P., A Little More Off the Top , in: Nekhen news, Vol. 16, 2004,p.11

[41] - Friedman , R.," He's Got a Knife! Burial 412 at HK43" , in: Nekhen news, Vol. 16, 2004,p.8.
[42] - http://guardians.net/hawass/press_release_Abydos_05-05.htm,2005.
[43] - http://www.narmer.pl/abydos/qaab_en.htm,2000.
[44] - Dunn,j., The Tomb of King Den at Abydos, in: http://www.touregypt.net ,2013.
[45] - Petrie, Royal Tombs II, pl. 3.4
[46] - Morris, E, F., 2007, fig.3.
[47] - White, D.A., An Esoteric Interpretation of the Narmer Palette and Narmer Mace Head Douglass , A Delta Point ePublication, www.dpedtech.com, 2009,p.3.
[48] -Ibid., p.14.